

القول المبين

في

جرح وتعديل
وتزكية المعين

لأبي عبد الله
أبي بكر بن ماهر بن عطية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن الصحب أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد

فهذا مقال مختصر عن جرح وتعديل المعين سميته «القول المبين في جرح وتعديل وتركية المعين»

والله أسأل أن ينفع به ويبارك فيه وأن يتقبله مني بقبول حسن، وهذا أوان الشروع في المقصود، فأقول وبالله التوفيق:

اعلم -رحمني الله وإياك- أن جرح غير المعين وتعديل غير المعين أمر معلوم مشهور في الكتاب والسنة فلا يخفي على مسلم يقرأ أو يسمع كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ما ذكره الله في كتابه وذكره رسوله في سنته من ذم الكافرين والمنافقين والظالمين والفاسقين وغيرهم والثناء على المؤمنين والصالحين والصادقين والقانتين والصابرين وغيرهم على سبيل العموم، وقد كان صلى الله عليه وعلى آله سلم يكتفي ولا يصرح ببعض الأعيان فيقول: ((ما بال أقوام)) عائبًا عليهم بعض أقوالهم وكان في أحيان أخرى كثيرة يصرح بالأسماء فمن تورع عن جرح المعين باسمه أو وصفه الذي يُعَيَّن به مدعيًا أنه صاحب منهج مفرقًا بين الفعل والفاعل فليس من منهج الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في شيء، وورعه كاذب مردود عليه ويعتبر محددًا في الدين ما ليس منه، ومؤسسًا بدعة وضلالة.

وينبغي أن يعلم أن تعديل العدل المعين أولى من تجريح المجروح المعين وإن كان كل منهما -أعنى التعديل والتجريح- مشروعين خاصة إذا اقتضى المقام تعديل العدل وتجريح المجروح وليست منزلة تعديل العدل بأقل من تجريح المجروح بل هي أعلى؛ ذلك لأن تعديل العدل يتوقف عليه معرفة دين الله الذي أنزله على رسوله، ومعرفة الدين مقصود لذاته، فمعرفة الدين مقصد حميد، وغاية سامية، أما جرح المجروح فهو من باب الوسائل لتكميل المقاصد والغايات والحفاظ عليها، ولاشك أن باب الغايات أعلى من باب الوسائل كما أن فعل المأمور به من توحيد وسنة وطاعة أعلى من ترك المنهي عنه من شرك وبدعة ومعصية وأن النهي عن تلك الأشياء هو من باب الحفاظ على المأمور به، وقد جاء نحو ذلك في كلام ابن القيم -رحمه الله- وبناء على هذا يقال:

إن العالم حقًا هو الذي يعدل العدل ويجرح المجروح تحقيقًا للمصالح والمقاصد والغايات الشرعية ودرعًا للمفاسد ولما كان هذا الدين أمانة في أعناق أهل العلم حرم عليهم السكوت عن تعديل العدل وتجريح المجروح إذا اقتضى الأمر ذلك بحيث يتعين عليهم ذلك فإذا تعين على طائفة منهم ذلك أثمت تلك الطائفة إن لم تقم بما أوجب الله عليها في ذلك، ومن سكت والشأن ما ذكر فقد كتم العلم وتشبه بأهل الكتاب في ذلك وخان الأمانة التي كلف بأدائها، وكان فيه خصلة من النفاق وكان به من الظلم والجهل ما به، ولم يكن قائمًا بواجب النصح والبيان، فكيف بمن يذم أهل العلم ويثني على أهل البدع!؟

إن إثمه إذاً لكبير، وجرحه إذاً لعظيم، وما أنا أذكر بعض الأدلة على تعديل المعين وتجريح المعين سواء كان المعدل أو المركبي ملكًا أو نبيًا أو غيرهما من إنس أو جن وسواء كان المجروح أو المخطئ مسلمًا أو كافرًا وقد أذكر نص الدليل وقد أذكر معناه فمن أراد الوقوف على نصه رجع إلى مظانه، فمن هذه الأدلة المتعلقة بباب تعديل أو تركية المعين قوله تعالى عن جبريل:

{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) } وقوله: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) }

ومن ذلك قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) }

وذكر الله في سورة الأنعام عددًا من الأنبياء ثم قال: { وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) }

وقال بعد ذكر عدد آخر: { كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) }

وقال بعد عدد آخر: { وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) }

ثم قال: { وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ }

إلى أن قال: { أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ } إلى أن قال: { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَاهُ }

وقال في نوح: { إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) }

وقال في إبراهيم: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) }

وقال: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) } وقال: { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) }

وقال في داوود { إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) }

وقال في سليمان: { نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) }

وقال في أيوب: { إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) }

وقال: { وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) }

إلى أن قال: { وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ (٤٧) } وادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) }

وقال في يحيى: { وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) }

وقال: { فَتَدَاتُهُ } أي زكريا { الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ }

{ الصَّالِحِينَ }

وقال عن موسى: { إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١) }

وقال عنه وعن هارون: { وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) }

وكفي بالنبوة والرسالة إثباتاً لعدالة الأنبياء والمرسلين فإذا كان كل الصحابة عدولاً فما بالكم بالأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين!؟

وقال تعالى عن إسحاق ويعقوب:

{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) } وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠) }

وقال في إسماعيل: { إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) } وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) }

وقال عن إدريس: { إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) } وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) }

وقال عن المسيح وأمه: { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ }

وقال الملك لمريم: { إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) }

وقال تعالى: { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) }

وقال: { وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) }

وقال عن عيسى: { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) } وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ... الآيات.

وقال: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ } وقال: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَمَلِكًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) } شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ

اجْتِبَاءَهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) }

إلى أن قال: { وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) }

وقال له ربه: { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } وقال: { وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) }

وقال عن موسى: { يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) } وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ { وقال: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ }

وقال تعالى عن عيسى: { وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ }

وقال نبي بني إسرائيل لهم عن طالوت: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكُمْ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ }

وقال عن نبيه محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }

وقال عن امرأة فرعون: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِحَبْلِي وَغَمِلْهُ وَبِحَبْلِي مِنَ

الْقَوْمِ الطَّالِمِينَ (١١) }

وقال عن أم موسى: { إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَظُنَّا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) }

وقال عن جبريل وميكايل: { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) }

وقال عن موسى وهارون: {وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١١٤) وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)}

وقال عن إيلياس: {وَإِنَّ إِيْلَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٢٨) وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَىٰ إِيْلَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)}

وقال عن لوط: {وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣)}

وقال عن إبراهيم: {كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)}

وقال عن إسحاق وعنه: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ {

وقال عن يوسف: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ (٢٤)}

وقال له الملك: {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤)}

وقالت النسوة: {حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ {

وقالت امرأة العزيز: {وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١)}

وقال إخوة يوسف: {تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا {

وقال صاحب السجن ليوسف: {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)}

وقال الذي نجا منهما ليوسف: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ {

وقال تعالى عن يوسف:

{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)}

وقال الرجل المؤمن الذي كان من آل فرعون يكتنم إيمانه لهم: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ {

وقال تعالى إذ عتب على خليله محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بخصوص الأعمى:

{وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) {

وقد سمي الله أبا بكر صاحبًا لنبيه فقال:

{إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِنَّنِيزِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا {

وقد بينت السنة أنه صاحبه في الغار والهجرة.

وقال تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)}

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها تركية وتعديل لأهل التركية والتعديل.

وقد جاء في السنة فضائل بعض الأنبياء وبعض الصحابة -وقد جاء فيها تركية أويس القرني وأنه خير التابعين إلى غير ذلك ممن عينتهم السنة -

فمن أراد معرفة ذلك فعليه بالصحيحين على الأقل للوقوف على فضائل ومناقب بعض الصحابة -رضى الله عنهم- وقد أورد الشيخ مقبل -

رحمه الله- في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ما رواه الحاكم بسنده إلى ابن مسعود فيما يتعلق بسبب نزول قوله تعالى:

{وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ {

الآيات من سورة الأحقاف أنهم كانوا تسعة نفر أحدهم زوبعة، ونقل عن الحاكم تصحيحه وموافقة الذهبي له.

قلت: وهو في المستدرک مع تلخیص الذهبي.

أما تجريح المعين فهو كثير في كتاب الله وفي سنة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وكذلك تخطئة المخطئ ولو علا قدره، فمن ذلك قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لأبي بكر - رضي الله عنه - لما عبّر رؤيا: ((أصببت بعضاً وأخطأت بعضاً)) وقال لأبي ذر: ((يا أبا ذر أعيرته بأمة؟! إنك امرؤ فيك جاهلية))

وقال لمعاذ لما طول بالناس صلاة العشاء وقال -أي معاذ- في الرجل الذي انفصل عن الجماعة وصلى وحده إنه منافق ((أفتان أنت يا معاذ)) وقال: ((بنس أخو العشيرة)) أو ((بنس ابن العشيرة)) للرجل الذي استأذن عليه.

وقال لفاطمة بنت قيس: ((أما معاوية ففعلوك لا مال له وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه انكحي أسامة بن زيد)) وفي رواية ((ضراب للنساء)) أي أبو الجهم وذلك حينما خطبها

وقال النبي في مكرز أحد الذين أرسلتهم قريش في الحديبية: ((وهذا مكرز وهو رجل فاجر))

وقال تعالى دائماً أبا لهب وزوجه: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)}

وذكر جالوت في سياق الدم له فقال: {وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ}

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لعثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه -:

((ذاك شيطان يدعى خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً)) وذلك حينما شكأ إليه شيطاناً يلبس عليه صلاته.

وقال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في ابن صياد ((اخساً فلن تعدو قدرك))

وقال في الدجال: ((إن الدجال أعور وإن ربكم ليس بأعور)) وقال: ((مكتوب بين عينيه كافر وتهجها ك ف ر يقرؤها كل مؤمن كاتب أو غير كاتب)) والأحاديث في الدجال كثيرة.

وقال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وَامْرَأةً لُّوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ (١٠)}

وقال لنوح بخصوص ابنه الغريق الكافر: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}

وقال للوط: {إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣)} وقال: {إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ}

وقال إبراهيم لأبيه: {إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤)}

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لرجل: ((إن أبي وأباك في النار)) وقال: ((استأذنت ربي في أن أزور قبر أبي فلم يؤذن لي)) وقال في أبي طالب ((إنه في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل)) ونزل في أبي طالب قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَعْفِفُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)} وقوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} وسب ابن عمر ابنه بلالاً سباً شديداً لما قال له والله لنمنعهن -أي النساء- حينما روى ابن عمر عن رسول الله قوله:

((لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها))

وقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- لابنه عبد الرحمن -رضي الله عنه- "يا غنثر" لما لم يجد أضيافه قد تعشوا وكان قد أمره بعشائهم.

{ومعنى الغنثر الأحق كما في القاموس}

١ - وما ورد من ذلك في حق الصحابة -رضي الله عنهم- فقد قال عنه شيخنا الإمام فقيه اليمن ومحدثها، ناصر السنة وقامع البدعة، أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله، وجعل الفردوس الأعلى مأواه- ما معناه: هذا على سبيل التأديب.

قلت: ومع ذلك فما ورد من ذلك في حق الصحابة أدلة صالحة لجرح المجروحين، وقد كان شيخنا نفسه -رحمه الله- يستدل بها -في جملة ما يستدل على جرح المجروحين، وهو الحق.

وَذَمَّ النَّبِيَّ مَسِيلِمَةَ الْكُذَّابِ وَالْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ إِذْ قَالَ: ((رَأَيْتَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّ فِي يَدَيْ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا فَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَنْفَخَهُمَا فَنَفَخْتَهُمَا فَطَارَا فَأَوْلَتْهُمَا كَذَابِينَ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي الْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَمَسِيلِمَةَ الْكُذَّابِ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ))
 وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)} وَقَالَ عَنْ فِرْعَوْنَ: {إِنَّهُ طَعَى (١٧)} وَقَالَ: {إِنَّهُ كَانَ عَلَائِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١)} وَقَالَ: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)} وَقَالَ: {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ إِلَى أَنْ قَالَ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)} وَقَالَ: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ} إِلَى أَنْ قَالَ: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١)}

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَبَ نَوْفٌ وَهُوَ نَوْفُ الْبِكَالِيِّ لَمَّا قَالَ: إِنَّ مُوسَى الْخَضِرُ لَيْسَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.
 وَقَالَ النَّبِيُّ: ((كُذِبَ مَنْ قَالَهُ أَوْ مَنْ قَالَ ذَلِكَ - مَرَّتَيْنِ)) لَمَّا ارْتَدَّ ذَبَابٌ سَيْفَ عَامِرِ بْنِ الْأَكْوَعِ إِلَى رَكْبَتِهِ فَكَانَ فِيهَا مَوْتُهُ إِذْ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرِ الْأَنْصَارِيِّ إِنَّ عَامِرَ بَطَلَ جِهَادَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ مَا سَبَقَ وَقَالَ: ((إِنْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ إِنَّهُ جَاهِدَ مُجَاهِدَ قَلِّ عَرَبِيٍّ نَشَأَ بِهَا مِثْلَهُ))

وَقَدْ جَاءَ ذَمُّ الْمُنَافِقِينَ فِي سُورَةِ «الْمُنَافِقُونَ» وَغَيْرِهَا وَقَدْ بَيَّنَّتِ السَّنَةُ أَنَّ ابْنَ سُلُوفٍ مُنَافِقٌ وَأَنَّهُ الَّذِي قَالَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ «الْمُنَافِقُونَ».
 وَقَالَ النَّبِيُّ: ((مَنْ لَكَعَبَ بِنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ آذَى اللَّهِ وَرَسُولَهُ)) وَقَالَ: ((مَنْ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ)) وَذَلِكَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ فَوُجِدَ قَدْ قَتَلَ وَمُتَّحِرَجٌ رُوحُهُ - لَعَنَهُ اللَّهُ -.

وَقَالَ اللَّهُ {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)}
 وَقَالَ تَعَالَى: {قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨)} وَقَالَ {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣)} وَقَالَ {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمَلْنَاَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)}
 وَقَالَ الْحَرِيُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَحْيَى عَيْنِيَّةَ بْنِ حَصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَالَ لِنَبِيِّهِ: {خُذِ الْعَمَقَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)}

وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ وَذَلِكَ حِينَمَا هُمُ عَمْرٌ بِضَرْبِ عَمِّهِ هَذَا لَمَّا دَخَلَ عَلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ:

«إِنَّكَ لَا تَعْطِينَا الْجِزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بِالْعَدْلِ»

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}

وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -: ((رَأَيْتَ عَمْرُو بْنَ لِحْيِ الْخَزَاعِيِّ يَجْرُ قُضْبُهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ))

وَقَالَ: ((وَكَادَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يَسْلَمَ)) وَجِهَ ذَمُّهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ؛ لِأَنَّ كَادَ مِنْ أَعْمَالِ الْمُقَارِبَةِ أَيْ: قَارِبٌ أَنْ يَسْلَمَ.

وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ: ((مَنْ يَعْذِرُنِي فِي رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي)) يَعْنِي عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ سَلَّوْهُ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ هَذِهِ الْإِفْكِ وَخَاضَ فِيهِ غَيْرُهُ كَحَسَانَ وَحَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَفِيهِ قَوْلُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنْ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَاحْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وَكَانَ قَبْلَ رَجُلًا صَالِحًا، أَيْ: لَمَّا قَالَ لِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ: لَا تَقْتُلْهُ وَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقْتُلَهُ أَوْ لَا تَقْدِرَ أَنْ تَقْتُلَهُ أَوْ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَفِيهِ قَوْلُ أُمِّ مَسْطُحٍ: تَعَسَّ مَسْطُحٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ خَاضَ فِي الْإِفْكِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: ((إِن كُنَّا لَأَنْتِنِ صَوَاحِبِ يَوْسُفَ)) وَذَلِكَ لَمَّا رَاجَعَتْهُ بِخُصُوصِ أَمْرِهِ إِيَابَهُمْ أَنْ يَأْمُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَصَلِيَ بِالنَّاسِ.

وَقَالَ اللَّهُ عَنْ قَوْلِ النَّسْوَةِ فِي امْرَأَةِ الْعَزِيزِ: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠)}

وَقَالَ يَوْسُفُ لِإِخْوَتِهِ: {أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)}

وَقَالَ لَهُمْ: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)} وَقَالَ تَعَالَى عَنْ إِخْوَةِ يَوْسُفَ: {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ}

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على جرح المعين. والتعيين يكون بذكر الإسم أو الوصف الذي يتم به تعيين المعين عدلاً كان أو مجروحاً ومعلوم أنه ليس كل من وقع في بدعة كان مبتدعاً آثماً وليس كل من وقع في كفر كان كافراً ولا يؤخذ من ذلك التفريق بين الفعل والفاعل بحيث يحكم على الفعل بدعة كان أو معصيةً أو كفراً ولا يحكم على الفاعل مطلقاً فإن هذا تأصيل فاسد إذ قد يكون من وقع في البدعة مبتدعاً وقد يكون من وقع في الكفر كافراً وذلك بالنظر إلى استيفاء الشروط وانتفاء الموانع في حق المعين وليس كل أحد قادراً على إقامة الحجة وإزالة الشبهة وإنما العلماء بشرع الله هم وحدهم القادرون على ذلك.

وبعد ما تقدم من الأدلة على جرح وتعديل وتركيب المعين لا يسكت عن جرح وتعديل المعين مع وجوب ذلك وتعيينه عليه لعلمه بأسباب ذلك إلا رجل هو على ملة أهدى من ملة محمد أو منهج أهدى من منهج السلف أو أنه مفتتح باب ضلالة.

فما الظن بمن يتكلم بالباطل عن أهل العلم العدول ويسيء بهم الظن ومن يثني على أهل الأهواء إنه - والشأن ما ذكر - أحق بالجرح والقدح والذم والعيب والشين والنقد والحذر منه والتحذير منه ومن منهجه والله المستعان.

- تنبيه: لم أذكر إلا حديثاً صحيحاً.

تنبيه آخر: هذا المقال له أصل مطول، قد كتبه سابقاً، وفيه زيادات على ما كتبت ها هنا، وقد كنت على وشك إتمامه، وقد ذكرت فيه كل دليل بنصه، ولكنه ليس كله بجوزي الآن، فأردت تقريبه من الذاكرة في هذا المقال، والأصل أحسن ترتيباً وأكثر أدلة، ومالا يدرك كله لا يترك جله.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

كتبه

**أبوبكر بن ماهر بن عطية بن جمعة
في ليلة الأحد الموافق الرابع عشر من شهر صفر
لسنة ثمان وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية^(١).**

١- تم التعديل في يوم الخميس، الموافق السادس عشر من شهر رمضان، لسنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام -.